انطباعات عابرة

د. محي الدين عميمور*

* بمجرد أن أفتح عيني كل صباح أشعل التلفزة لأطمئن على تواصل الصمود الرائع لرجال حزب الله في مواجهة الغزو الإسرائيلي، وأسجل تقديري للكفاح البطولي الذكي الذي جعل قوات العدو الإسرائيلي تتصور وكأنها تحارب أشباحا لا يُرون.

ولقد فشلت إسرائيل عبر كل مرحل المواجهة في اختطاف رجال المقاومة أو في اغتيالهم بالأسلوب الذي استعمل وأدى إلى استشهاد العشرات من قيادات المقامة الفلسطينية.

والسبب هو أن المجاهدين في لبنان التزموا بأهم قواعد حرب العصابات التي استعملها الفيتناميون ثم الجزائريون ولم يخلطوا بين العمل الفدائي والعمل الإعلامي، ولم يكن يتقاطر على الشاشات الصغيرة عشرات القياديين يصرحون ويهددون ويندون، ويكشفون أنفسهم للعدو الذي يرصد كل شيئ، مباشرة أو عبر عملائه، ثم يروح يستأصلهم واحدا بعد الآخر.

***

* السيد محمود معارض سوري يعيش في لندن، تخصص في استعراض مثالب الحكم السوري وجرائمه، كما يقول، على فضائية المستقلة، وبحجم هائل من المرارة يقطر من كل التدخلات.

وكنت اشتبكت معه هذا خلال حوار تلا اغتيال رفيق الحريري، كنت قلت فيه بأنني لا أرى داعيا للتسرع في إدانة سوريا، وبأن المشتبه الأول فيه هو مصالح الموساد، الخبيرة في هذا النوع من التشويش السياسي الذي ينطلق من عمليات إجرامية تنسب لخصوم إسرائيل، وبأنني، وإلى أن يصدر تقرير دولي موثوق به، سأظل أقف بجانب دمشق وأرفض أن أقف بجانب من يحاول تجريمها.

وفوجئت بأن الرجل ركبه جن أزرق، ولم يكتف بتناول الشأن السوري بل راح يتطاول على الجزائر بملاحظات تدل على جهل مطبق بأحداثها، وهكذا وجدت نفسي مضطرا لكي «أريه أين يُباع الزنباع»، وبحجم كبير من العنف، رغم أنني أتفادى ذلك في حواراتي وأترك الانفعال الزائد للخصوم.

وبالأمس، وخلال برنامج حول أحداث لبنان، قال السيد محمود أن الوطن العربي يوجد بين عدوين، إسرائيل من جهة وإيران من جهة أخرى، ثم راح يلقي اللوم على حزب الله، تماما كما فعل البعض، فأدركت أي نوع من المعارضة ينتمي إليها المذكور كبعض «رهوط» المعارضة التي دخلت بغداد على ظهر الدبابات الأمريكية، وتصورتُ من يمولها رغم تناقض المذاهب والولاءات العقدية.

ولعل من فوائد العدوان الأخير أنه أعطانا الفرصة لكي نكتشف الكثير عن وطننا العربي.

***

* نادى الداعية «المودرن» بتكاتف إسلامي لمواجهة العدوان الإسرائيلي، وحث حكام العرب والمسلمين على ردّ العدوان على المستضعفين والمدنيين العزل، وإلى هنا والأمر طبيعي جدا ويستحق الشكر والتقدير، لكن بقية البيان الإعلامي الذي أصدره عمرو خالد لا يمكن أن تمر بدون تعليق، حيث يقول متسائلا بأننا : «كنا ننتظر رؤية الجيوش العربية والطائرات العربية والصواريخ العربية (..) فإذا لم تتحرك فما الحكمة إذن من وجودها ؟» ثم يواصل بيانه داعيا المسلمين إلى «حسن التضرع إلى الله وطلب الإغاثة منه للانتقام من المعتدين».

وما قاله عن الجيوش والصواريخ والطائرات هو ما يمكن أن يقوله أي مواطن عادي مُحبط، يتابع أنباء الصفقات الكبيرة من الأسلحة الغربية التي تدفع بعض الدول العربية ثمنها، وكلها أقل من مستوى السلاح الإسرائيلي بل والإيراني (إذا كان العدوّ المحتمل هو إيران، كما يخطط البعض) وجلها يأكله الصدأ في المخازن، لكن صدور القول عن رجل مثقف يذكرنا بعملية التحريض والتعريض التي قامت بها أنظمة وأحزاب لاستفزاز دفع جمال عبد الناصر في 1967 ودفعه إلى طرد القوات الأممية والانزلاق إلى حرب كانت نتيجتها الهزيمة المحققة.

والآراء العسكرية مقبولة إذا قدمها رجال من طراز الفريق سعد الدين الشاذلي، ذكره الله بكل خير، ولكن من الصعب تقبلها من رجل لعله لم يطلق رصاصة واحدة في حياته على زجاجة فارغة.

ودور الداعية هو أساسا إعلان موقفه من الفتاوى المنطلقة من خلفيات مذهبية ضيقة أو الصادرة بتوجيهات من وليّ الأمر تطبيقا لتعليمات جاءت من بعيد، تجرم المقاومة الإسلامية وتدين رجالاتها.

وكنا نريد أن نسمع رأي «البيه» فيما قاله أولمرت من أن دولا إسلامية عبرت عن ضيقها مما قام به حزب الله واستند له رئيس الوزراء الإسرائيلي في محاولة تسميم اللبنانيين، وكنا نأمل أن يدعو لمواقف عملية بسيطة يقوم بها المواطن للمساهمة في ردع الذين يدعمون العدوان ومن بينها المقاطعة الميدانية للمنتجات الأمريكية وعدم إيداع الأموال في البنوك الأمريكية.

لكنه فضل أن يستعرض عضلاته في غير اختصاصه، بل إن دعاءه إلى الله للانتقام من المعتدين كان عاما ولم يتكامل مع الدعاء لنصرة المجاهدين، فالسماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ولا قوات مظلية.

وما زلت أطرح التساؤلات عن دعاة يمارسون عمليات تخدير للجماهير، هي في حد ذاتها أكبر دعم للعدوان، والذين كشفت الوقائع عمن يتولى تمويلهم وتلميعهم ثم إدارتهم بأداة «التيلي كوماند».

***

* هناك عدة حقائق يجب أن تكون أمامنا ونحن نعيش على وقع مجزرة «قانا» الثانية.

– الأولى هي أن النظام العربي كله فقد شرعيته بدرجات متفاوتة، وأوضح هنا أنني لا أقصد السلطة وحدها ولكنني أضيف إليها الطبقة السياسية العربية التي عجزت عن القيام بمهمة طبقة سياسية تعتمد على مؤسسات حزبية هرمية النشاط، وتتقدم بأفكار واضحة محددة لقيادة جماهير فقدت ثقتها بالجميع، لأنها تنتظر من يوجهها ويؤطرها وليس من يكتفي بأن يصرخ معها بنفس صرخاتها.

والاستثناءات تؤكد القاعدة.

– الحقيقة الثانية هي أن إسرائيل تمارس عملية إبادة جماعية Genocide منظمة ومخططة، هدفها التعامل مع العربي كهندي أحمر يجب قتله أو عزله في محتشدات كالحيوانات البرية، وهذا واحد من عناصر وحدة الفكر مع الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأستراليا، وبالطبع، بدرجات متفاوتة.

ولقد قالت إسرائيل بأنها قصفت قانا بالأمس لأنه كانت تطلق منها صواريخ حزب الله، ورغم أنه لم توجد أي آثار لذلك في مكان المذبحة فإن السؤال المطروح : هل أطلقت صواريخ حزب الله من قانا في منتصف التسعينيات وهي التي كانت تحت حراسة الأمم المتحدة، وهل أطلقت صواريخ حزب الله من صبرا وشاتيلا في بداية الثمانينيات، وهل أطلقت صواريخ حزب الله من مدرسة بحر البقر في مصر في الستينيات وهل أطلقت صواريخ حزب الله من دير ياسين وكفر قاسم في الأربعينيات.

والمصيبة هي أن بعض الأعراب يقبلون تحليلات إسرائيل أو ... يتفهمونها !!.

***

* ما زلت أرى ضرورة استقالة كل من الأمين العام لجامعة الدول العربية ليجسد موقف رجولة ترفض الانبطاح، وأن يستقيل الأمين العام للمؤتمر الإسلامي اعترافا بالفشل والتخاذل، وأنا واثق بأن استقالة كل منهما، وبدون تراجع عنها، سيكون لها وقع بالغ الأهمية على الأحداث.

وفيما يتعلق بالعمل العربي هناك مسؤولية خاصة تتحملها الدول التي ترتبط بعلاقات مع إسرائيل، وأبسطها استدعاء السفير للتشاور، هكذا.

ويبقى أنه إذا لم تعقد قمة عربية فورا فنأمل ألا تعقد أبدا.

* كاتب ووزير جزائري سابق

لعب المقامر الخاسر

زكريا محمد*

■ طلع الفجر، وجمع المقامرون الرابحون أنفسهم كي يعودوا الى بيوتهم. لكن المقامر الخاسر يريد منهم أن يظلوا على الطاولة. فهو ينتظر نقودا مستدانة طلبها من أحدهم. اللعب لم ينته بالنسبة له. وعلى اللاعبين أن يظلوا على طاولة المقامرة. لا يحق لهم أن يغادروا. يجب عليهم أن يعطوه فرصة أخرى، حتى لو أن الفجر قد طلع.

أما المقامرون، الذين يريدون العودة الى بيوتهم بما كسبوه، فيعرفون أن وضعه صعب. لذا يهيئون أنفسهم للمغادرة، لكن على غير عجل. فهم يدركون أنه يملك مسدسا تحت حزامه. وهو يستطيع أن يصوبه نحوهم ليقول لهم: اما أن تعطوني فرصة أخرى، أو أن أطلق النار على رؤوسكم. انهم يغادرون ولا يغادرون. لقد كسبوا هم، وخسر هو. لكنه لا يريد أن يقر بالحقيقة. وهو على استعداد لأن يهددهم بالدمار.

هكذا يفعل الجيش الاسرائيلي. وهكذا يفعل ايهود أولمرت، رئيس وزراء اسرائيل. لقد طلع الفجر، وخسروا الحرب. لكنهم لا يقبلون بذلك. يريدون فرصة من عشرة أيام أو أسبوع كي يغيروا الصورة. فهم ينتظرون القنابل الذكية وغيرها من أمريكا. أما رايس، وزيرة الخارجية الامريكية، فتطلب من اللاعبين أن لا يغادروا، لأن المغادرة الآن تعني اقرارا بالهزيمة. وهي وعدت المقامر الاسرائيلي أن ترسل له ما يمكنه من لعب جولة أخرى، لعله يستعيد ما خسره.

العالم كله الآن يدري أن اللعبة قد انتهت، وانه يجب وقف اطلاق النار. لكن أحدا لا يمكنه أن يعلن ذلك. فالمقامر المدعوم من الولايات يهدد بالمسدس، يطلب فرصة أخرى. وسيرغم الجميع على اعطائه هذه الفرصة. سوف تستمر الحرب، اذن، أسبوعا آخر او أكثر. سوف يرغم اللاعبون على البقاء على الطاولة كي يلعبوا شوطا آخر. لا مفر من ذلك.

لكن لا يستطيع أحد أن يؤكد أن هذا الشوط سيغير الوضع. ربما يستعيد المقامر الاسرائيلي جزءا ما من خسائره، لكن هذا ليس مؤكدا. لن يستعيد، بالتأكيد، كل خسائره. هذا غير ممكن. هناك أشياء لا يمكن استعادتها: مثل هيبة الجيش الاسرائيلي التي تحطمت، ومثل منطق الأنظمة العربية، منطق القاهرة والرياض، حول عدم امكانية المقاومة، ومثل اليقين الذي ينتشر كالنار في الهشيم وسط الناس العرب: يقين أننا نستطيع ان نهزمهم لو أردنا.

كل هذا لن يستعاد. لقد دخل عميقا في الوعي. لقد تحرر الوعي من الأساطير. وحين يتحرر الوعي فلن يستطيع أحد أن يمنعه.

علينا ان ننتظر أسبوعا أو أسبوعين. لكن انتصارا اسرائيليا مدويا لم يعد ممكنا. لقد انتهى زمن الانتصارات الاسرائيلية المدوية.

واسمحوا لي أن أتذكر النبوءة الصغيرة التي حصلت قبل ثلاثة أعوام في مخيم جنين. فهناك فتحت ثغرة في السد. هذه الثغرة توسعت في مارون الراس، في بنت جبيل، في عيتا الشعب، وفي غيرها. لقد فتحت الثغرة، وسوف يتدفق الماء، ماء الوعي الجديد كي يغمر الأرض العربية كلها.

* شاعر وكاتب من فلسطين

كيف تحولت بطولات المقاومة إلى «مغامرات» في قواميس بعض الأنظمة العربية؟

لبنان أكبر من مؤامرات زمن التخاذل العربي

احمد علي*

■ مع دخول العدوان الإسرائيلي على لبنان أسبوعه الرابع، وانقشاع غبار المعارك الضارية في «بنت جبيل» الصامدة و«عيترون» وسائر قرى الجنوب اللبناني الصابرة، يأتينا صوت الأمين العام لحزب الله السيد «حسن نصر الله» بروحه المعنوية العالية، وإرادته الوطنية التي لا تنكسر، ليبشر الأمة بالنصر القريب بإذن الله.

ولأن مقاييس النصر وحسابات الهزيمة تختلف في هذه الحرب غير المتكافئة عن غيرها من الحروب التي خاضتها إسرائيل ضد العرب، فإن مجرد ظهور «نصر الله» كل يوم تقريبا على شاشة تليفزيون «المنار»، متحديا الغارات العشوائية، التي حصدت أرواح المدنيين من أبناء الشعب اللبناني الشقيق، يعني انتصارا للأمين العام لحزب الله، ومبادئ هذا الرجل، الذي أصبح رمزا من رموز المقاومة الوطنية في وجه الغطرسة الإسرائيلية.

وما من شك في أنه كلما استطاعت المقاومة اللبنانية الصمود يوماً آخر في وجه الآلة العسكرية الإسرائيلية المدمرة والمدعومة من الولايات المتحدة، فإن ذلك يعني انتصاراً لها، وفي المقابل كلما امتدت هذه الحرب المفتوحة غير المشروعة يوماً آخر دون أن تحقق إسرائيل أهدافها المعلنة، فإن هذا يعني هزيمة مقولة الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر.

لقد تعدت الحرب الظالمة التي تشنها إسرائيل ضد لبنان بأهدافها الاستراتيجية قضية الإفراج عن الجنديين الصهيونيين الأسيرين، وبات واضحاً أنها جزء من المخطط التآمري لتغيير المعادلات السياسية السائدة في المنطقة، من خلال التخلص من حركات المقاومة الوطنية في العالم العربي، وإعادة تشكيل الشرق الأوسط، الذي يريدونه خالياً من المدافعين عن كرامة الأمة وعزتها، وهذا المشروع يحظى بموافقة بل مشاركة بعض الأنظمة العربية، التي تريد أن يكون لها دور وموقع مؤثرين في المخطط الجديد.

وإذا كانت الحرب المفروضة على لبنان قد كشفت صلابة المقاومة اللبنانية وصعوبة هزيمتها، فإنها كشفت أيضاً هشاشة مواقف بعض الحكومات العربية، التي وجدناها مع إطلاق الرصاصة الإسرائيلية الأولى على الجنوب اللبناني ترفع راية الاستسلام، بدلاً من رفع راية الإسلام!

ومع تواصل هذا العدوان الهمجي نلمس الفوضى الكبيرة والتخبط والتردد بل العجز في حركة النظام الرسمي العربي، الذي يقف ساكتاً ولا يحرك ساكناً، إزاء المجازر الوحشية التي ترتكبها إسرائيل على الساحة اللبنانية دون أن يسعى لعقد قمة عربية طارئة لبحث الأوضاع المتدهورة وكأن أطفال لبنان الذين قتلوا في «قانا» الأولى والثانية لا ينتمون إلى أمتنا العربية، ولا يمثلون مستقبلنا العربي الذي يبدو مظلماً، خصوصاً مع إصدار بعض الفتاوى الملكية التي يتم تفصيلها حسب مقاسات ومتطلبات وتقلبات الظروف السياسية والتي تُحرِّم نصرة «حزب الله»، مما يدعم موقف إسرائيل في عدوانها على لبنان، ويساهم في تقسيم الأمة الإسلامية.

لقد كشف العدوان الإسرائيلي على لبنان المواقف الاستسلامية لبعض الأنظمة الرسمية العربية، التي تخلت عن مسؤولياتها القومية، في لحظة انهزامية غير مسبوقة، في هذا الزمن العربي الرديء، وبدلاً من أن تسعى هذه الأنظمة لوقف العدوان من خلال توظيف ثقلها المالي والسياسي، وجدناها تدير ظهرها للمقاومة ولا تبذل ما يكفي من جهد دبلوماسي لوقف الحرب الإسرائيلية على لبنان وكأن الدم الذي يراق في الجنوب اللبناني ليس عربيا!

والمؤسف، بل المخجل، أن هذه الأنظمة الخائفة على مصالحها ومصائرها لم تكتف بهذا الموقف الانهزامي، بل وفرت الغطاء الرسمي العربي لضرب المقاومة اللبنانية، عبر إعطاء الضوء الأخضر لشن العدوان من خلال توجيه الانتقادات لحزب الله، وتحميله المسؤولية، حتى يكون ضربه عملاً مشروعاً في أذهان الرأي العام العالمي، ويكون تكسير إرادته عملاً مقبولاً لدى رجل الشارع العادي، مما دفع بـ«إيهود أولمرت» رئيس الوزراء الإسرائيلي إلى التفاخر بالتأييد الرسمي العربي لعدوانه!

وبصراحة، سواء اختلفنا طائفياً أو مذهبياً مع حزب الله، أو لم نتفق معه سياسيا، فإن الظرف لم يكن مناسباً أبداً لتصفية الحسابات الأيديولوجية معه، واتهامه في ذلك التوقيت الحرج بخوض «المغامرات»، وإنما كان مطلوبا رصّ الصفوف العربية، وبحث السبل الكفيلة بوقف العدوان الغاشم.

ولا أدري ما الذي تغيّر في القواميس السياسية لبعض الأنظمة التي ابتعدت عن إرادة شعوبها حتى أصبحت المقاومة الوطنية المشروعة عملاً من أعمال «المغامرات»، فالذي نعرفه أن «حزب الله» الذي يخوض حربا غير متكافئة ضد إسرائيل، دفاعاً عن ترابه الوطني المحتل، هو نفس الحزب الشيعي المقاتل الذي أجبر إسرائيل على الانسحاب من الجنوب اللبناني قبل ستة أعوام وهذا العمل البطولي شجّع صاحب السمو الملكي الأمير الشاعر خالد الفيصل للتغني بإنجاز المقاومة اللبنانية في قصيدته التي تحمل عنوان «لبنان أكبر من بلد» والتي يقول فيها:

قالوا إسرائيل ما تُهزم أبد
وانسحب جيش العدو قبل الوعدْ
أرغموه أبطال لبنان الرّجال
ما انسحبْ لا لا تحجّم وانطردْ
يسبق اللّحظات في ليل الهروب
يدري إن الموت حظّه لو قعدْ
لو ظهر لبنان في حجمه صغير
بالنّصر لبنان أكبر من بلدْ

إنها كلمات مؤثرة ومعبرة تمجد المقاومة اللبنانية، جادت بها قريحة الأمير الشاعر خالد الفيصل، الذي نشأ على نفس القيم التي نهل منها أيضاً صاحب السمو الملكي الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودي.

وبعد، ألا تعتقدون أن موقف بعض الأنظمة العربية الرسمية تجاه العدوان الإسرائيلي على لبنان لا يزال ناعماً ومائعاً؟

* رئيس تحرير صحيفة «الوطن» القطرية

ماذا يعني أن تكون سنيا اليوم؟

عبد العزيز بومسهولي*

■ قد يوحي هذا العنوان للوهلة الأولى بالتساؤل حول معنى المسلم السني اليوم الذي يقتصر دوره على التموقع داخل المذهب السني ويمتثل للعبادات، ويتصرف وفق ما جاء في السنة من قول أو فعل أو تقرير. والحال أن هذا التساؤل لا يقصد البتة هذا المعنى التاريخي الذي لحق بلفظ السنة فحولها الى مذهب جماعي قائم على التبعية والتقليد، ومن ثم صار معنى المسلم السني هو ذلك الذي يدل على الانسان الذي انتفت فرديته فصار حاملا لقيم جماعية تقوم على مبدأ التباث، فهذه القيم هي ما يحدد هويته وغايته، فالهوية السنية ليس لها من غاية سوى أن يكون الفرد خاضعا لمبادئ تقررت سلفا، أي أن يكون مطابقا لقاعدة الهوية الجماعية التي قد ينتفي في ظلها أي نزوع نحو الغيرية، بما هي ارادة الفرد في أن يتحرر من قيود الاتباع وينخرط في الصيرورة.

ان هذا التساؤل يستهدف العودة الأصل، أصل معنى السنة، لا من أجل تأسيس التقليد، وانما من أجل التحرر والانفلات عن المطابقة بالأصل، ونسيان التقليد، واستعادة الوجود.

ان العودة الى الأصل هنا هي بمثابة تذكر الاختلاف الذي تم نسيانه عبر تاريخ من التقليد المذهبي الذي أنتج ما اصطلح عليه اليوم بالسلفية والأصولية وأنتج أزمة الهوية داخل مجتمعات لم تقدر بعد على الانخراط في أفق المستقبل وظلت حبيسة أوهام فكر هووي ماضوي يحدد مصيرها، وبالتالي يحول دون انعتاقها من قبضة ماض ثم تقديسه الى حد التأليه.

ان العودة الى الأصل هنا هي عودة من أجل فهم الأصل الذي تأسس عليه الاختلاف الذي غدا يفعل الممارسة النمطية تقليدا ما يفتأ يتكرس كمنظومة ينحصر داخلها الانسان، منظومة تحدد معيار ما هو حق وما هو باطل، ما هو سني وما هو بدعي. والحال أن عودتنا الى السؤال ما معنى أن تكون سنيا اليوم، انما يتوخى انتشال الدال مما لحقه من مدلولات عملت عبر التقليد الفقهي على انسلابه واغترابه عن فعل الوجود بما هو تأسيس وتأصيل للحدثية، ليغدو في نهاية المطاف مدلولا لنظام الوصاية الذي يحول دون الانسان وفعاليته وقدرته على توظيف العقل دون تدخل وسائط الهيمنة.

فأن تكون سنيا اليوم، لا يعني بأي حال من الأحوال أن تكون نسخة مطابقة لأفعال وأقوال وتقريرات الرسول، فذلك يعد من قبيل المستحيلات، وتقليد من هذا القبيل يتم على حساب الروح والفعالية والذات والتاريخ، فأنت لا تكون ما هو بقدر ما تصير ما ليس هو، أي ذلك الهو المغترب عن ذاته، انه تعبير عن أزمة هوية تدعي المطابقة، لكنها في واقع الأمر تفقد ذاتيتها، وتغدو غيرية لا تاريخية، عوض أن تكون غيرية تاريخية.

أن تكون سنيا اليوم يعني أن تتأسى بالسنة باعتبارها تأسيسا، وانفلاتا عن التقليد، وهذا هو معناها الأصلي كما تدل على ذلك مدلولاتها الأصلية كما سنرى. ان السنة بهذا المنظور هي استشراف للمستقبل، انها اقتداء وليس تقليدا، اقتداء بما هو تذكر لحالة الاختلاف الذي تأسست عليه السنة، وانفلات عن التقليد الذي صير السنة فعلا للتبعية ونفيا للاستقلالية والارادة.

أن تكون سنيا اليوم هو أن تسن لنفسك منهجك الخاص الذي يمنحك حق الوجود والفعل والتأثير والفعالية، انه معنى يعطي للسنة معناها الأساس المتمثل في تأسيس المستقبل وليس المكوث في الماضي.

أن تكون سنيا اليوم معناه أن تستعيد المبادرة وتسلك لنفسك طريقة غير مسبوقة لكنها مع ذلك مؤثرة. وهذا هو معنى السنة الذي ثم تحويله عن مساره، وهو المعنى الذي ارتكز عليه في العهد النبوي، ذلك أن معناه الأصلي لغة واصطلاحا لا علاقة له بالاتباع وانما بالابداع وليس بالبدعة التي، ينحصر معناها عند علماء الأصول والحديث في بداية الأمر على المبالغة في التقليد داخل مجال العبادات، ان البدعة لا تعني انتهاج طريقة جديدة وانما المغالاة في التعبد، انها تعبير عن نمطية طقوسية تصل أحيانا الى نفي الحياة والارتكان الى التعبد.

ان معنى السنة في اللغة العربية انما كان يحيل الى التأسيس للجديد. يقول الشاعر(نصيب):

كأنما سننت الحب أول عاشق
من الناس اذ أحببت من بينهم وحدي

ويقول الشاعر خالد بن عتبة الهذلي:

فلا تجز عن من سيرة سرتها
فأول راض سنة من يسيرها (أورده صاحب اللسان في مادة «سنن»)

ومعنى ذلك أنها تدل على الفرادة والتميز في انتهاج أسلوب جديد في الحياة لكنه أسلوب مؤسس لقدرته على التأثير، ومن ثم نجد في كتب مصطلح الحديث هذا التعريف للسنة:

«كل من ابتدأ أمرا عمل به قوم بعده، قيل هو الذي سنه».

وفي الحديث: من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء... الحديث أخرجه مسلم.

أما المعنى الاصطلاحي فهي يقرر حالة التأسيس للجديد وبذلك أطلق على أقوال الرسول (صلى الله عليه وسلم)، لفظ الحديث الذي يعني الجديد، كما أن الأفعال والتقريرات تدخل ضمن هذا المنظور للسنة والسيرة. والمعنى الاصطلاحي الفقهي يؤكد أن السنة هي كل ما تبث عن النبي ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب، أي أنها تأسيس للفعل خارج نطاق الفرض الذي يكرس التبعية والامتثال الآلي.

وما دام الأمر كذلك فأن تكون سنيا اليوم معناه أن تقتدي بفعل التأسيس وليس بأمر التقليد الذي يمنح للمسلم اليوم أن يكون سنيا بالفعل، والسني وفق هذا المنظور هو الذي يمتلك القدرة على الابداع وليس الاتباع، انها قدرة على ابداع الخير ومنحه للغير، وليس معناه تبني سلوكات نمطية معينة يفقد بموجبها الفرد أي قدرة على المبادرة دون الرجوع الى سلطة الافتاء التي تقرر ما يوافق السنة وما يخالفها. ان الاقتداء بالأصل كتأسيس هو تحرر من الأصل ذاته كنموذج للتقليد وتحرر من النمطية التي تصير الانسان نسخة مطابقة لأصل أفرغ من محتواه. وبذلك فان الافتاء غير الاجتهادى يغدو خارجا عن مفهوم السنة، خاصة افتاء فقهاء الفضائيات الذين تخصصوا في شن حروب عدائية ضد كل ما هو جديد وابداعي.

ان السنة بهذا المنظور تغدو رديفا للابداع وليس للبدعة التي لا تحيل الا على الاتباع، لكن الممارسة الفقهية المعبرة عن استراتيجية ارادة الهيمنة حولت معنى كل من السنة والبدعة ليدل على نقيضهما. وهكذا غدت السنة خاصية لمذهب الاتباع، كما غدت البدعة تشمل جوانب الحياة غير التعبدية في حين أنها لم تكن تعني سوى الافراط والغلو المذهبي في مجال العبادات لا غير، وفي أحيان أخرى تدل على التقصير بشأنها يقول الشاطبي: (البدعة هي طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه)، لكنها لم تكن تعني أبدا انخراط الناس في ابداع طرق حياة جديدة لا تخضع بالضرورة لمنطق السلف ولا لمذهبه ولا لتحدياته ولا حتى لأخلاقه التي لم تكن خالية من العنف والنزوع نحو الاعتداء والسفك وغير ذلك من التصرفات اللااخلاقية.

ولكن الغريب في التصور الاتباعي للسنة انما يتمثل في تقديس السلف الصالح واعتبار كل ما بدر منهم خيرا مطلقا، وهذا الأمر لا يمنع بعض المنتسبين لمذهب السنة اليوم من اعادة انتاج العنف تجاه الآخر، باعتباره اتباعا للسلف الصالح وتطابقا معه. انه المنطق السائد اليوم لكل الجماعات الأصولية السنية التي لا تتوانى في الانخراط في أعمال دموية تجاه من تسميهم ضالين وزائغين عن السنة.

ان استعادة معنى السنة يفترض استعادة معناها الأصل بما هو اتلاف للعادة، أي بما هو دلالة على سك طرق جديدة في مجالات الحياة، انها خروج عن نظام التقليد والأحقية، وممارسة لحق الاختلاف، فالاقتداء بالسنة هو بناء للقدرة على الوجود، والانفتاح على العالم، انه قدرة على تأسيس عالم جديد منفلت عن النسق الاستبدادي الذي لم يكرس سوى التخلف والتبعية ونفي الارادة والطاعة.

أن تكون سنيا اليوم معناه أن تلتحم بارادتك في صنع التاريخ. انه تأس بالسنة النبوية بما هي انفلات عن نظام قديم وانخراط في فعل تاريخي مغاير غدا مؤسسا لكنه تحول مع الأسف بفعل ارادة الهيمنة الى تقليد وركون الى الثبات، ورفض مطلق للاصلاح.

أن تكون سنيا اليوم معناه أن تنخرط في حركة استئناف البدء/الأصل لا من أجل استرجاعه ولكن من أجل التأصيل لممارسة جديدة قادرة على تحرير الانسان من أي وصاية كما هي قادرة على تأصيل الابداع ومنح الخير.

* رئيس مركز الأبحاث الفلسفية بالمغرب

هل قوة احلال الاستقرار هي الوصفة السحرية لحل الأزمة اللبنانية؟

د. عبد العظيم محمود حنفي*

■ تعود بدايات عمليات الأمم المتحدة لحفظ السلام الى عصر الحرب الباردة يوم كانت وسيلة لحل النزاعات بين الدول عبر نشر أفراد عسكريين من عدد من البلدان، غير مسلحين أو يحملون أسلحة خفيفة ويعملون بقيادة الأمم المتحدة، بين القوات المسلحة التابعة للأطراف المتنازعة سابقا. يمكن دعوة قوات حفظ السلام عندما تكلف القوى الدولية الرئيسية الأمم المتحدة وضع حد للنزاعات التي تهدد الاستقرار الاقليمي والسلام والأمن الدوليين، لا سيما منها عدد من الحروب المعروفة «بالحروب بالوكالة» التي تشنها الدول العميلة لدى القوى العظمى . لم يكن متوقعا أن يحارب أفراد حفظ السلام خصمهم باعتماد التكتيك نفسه. وقد كان يتم نشرهم عموما عندما ينفذ وقف اطلاق النار وتعطي أطراف النزاع موافقتها. فقوات الأمم المتحدة تراقب الحالة على أرض الواقع وترفع تقارير محايدة حول الالتزام بوقف اطلاق النار، وانسحاب القوات أو العناصر الأخرى في اتفاق السلام. وهذا يمنح الوقت ويفسح في المجال أمام الجهود الدبلوماسية لمعالجة الأسباب الكامنة وراء النزاع.

سرع انتهاء الحرب الباردة في احداث نقلة جذرية في عمليات الأمم المتحدة لحفظ السلام وعمليات حفظ السلام المتعددة الأطراف. وانطلاقا من روح التعاون الجديدة، أنشأ مجلس الأمن بعثات لحفظ السلام أكبر وأكثر تعقيدا، بهدف المساعدة في غالب الأحيان على تنفيذ اتفاقات السلام الشاملة بين أطراف النزاعات الداخلية. وما برحت عمليات حفظ السلام تضم عناصر غير عسكرية حرصا على تحقيق الاستدامة. فتأسست ادارة عمليات حفظ السلام عام 1992 لكي تدعم هذا الطلب المتزايد على عمليات حفظ السلام المعقدة.

لقد حققت تلك العمليات نجاحا. ففي السلفادور وموزامبيق مثلا وفرت عمليات الأمم المتحدة لحفظ السلام السبل الهادفة الى احلال سلام ذاتي البقاء. وقد باءت بعض الجهود بالفشل، ربما بنتيجة تقييم متفائل أكثر مما ينبغي لما تستطيع عمليات الأمم المتحدة لحفظ السلام انجازه. ففي حين كانت البعثات المعقدة في كمبوديا وموزامبيق جارية، أرسل مجلس الأمن قوات حفظ سلام الى مناطق نزاع مثل الصومال، حيث لم يتم وقف لاطلاق النار أو الحصول على رضا جميع أطراف النزاع. ولم تكن هذه العمليات تملك القوى العاملة، أو تحظى بدعم الارادة السياسية لتنفيذ الولايات المناطة بها. وقد عاشت عمليات الأمم المتحدة لحفظ السلام جراء حالات الفشل، لا سيما مجزرة سريبرينيتشا عام 1995 (في البوسنة والهرسك) والابادة الجماعية في رواندا عام 1994.

في اطار العدوان الاسرائيلي على لبنان طرح الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان وبعض قادة أوروبا اقتراح ارسال قوة أمنية دولية الى جنوب لبنان. وكثر في الأيام الأخيرة الحديث عن هذه القوة التى أسموها قوة احلال الاستقرار كما لو كانت الوصفة السحرية التي ستخرج المنطقة من المستنقع الذي غرقت فيه. وبصفة عامة يرى فريق من المحللين أن الاقتراح الذي يدعو الأمم المتحدة الى نشر قوات دولية على الحدود اللبنانية الاسرائيلية لوقف اطلاق النار والحيلولة دون اندلاع حرب شاملة في المنطقة، يعتبر غير كاف. ومع الاعتراف بأن الفكرة تبدو للوهلة الأولى مغرية جدا بحيث ستقف القوات الدولية حاجزا بين الجيش الاسرائيلي ومقاتلي حزب الله المتحصنة في جنوب لبنان. الا أنه توجد في لبنان ومنذ ثمانية وعشرين عاما وحدة عسكرية دولية تتكون من ألفي جندي. وان نشر بضعة آلاف من الجنود الدوليين في منطقة التوتر لن يؤدي الى تحقيق السلام، بل بالعكس، انه قد يزيد الطين بلة مثلما هو الأمر في العراق حيث لم تنجح القوات الأمريكية في السيطرة على الوضع. ووفقا للسوابق الدولية بهذا الشأن فإن مثل هذه القوة لن يكتب لها النجاح اذا ما انحصر دورها فقط في المراقبة كما هو الحال في مهمة «الينوفيل». والتجربة السابقة معها التى أثبت أنّ التقارير التي كتبتها لم يسمح بنشرها بسبب العرقلة الأمريكية والاسرائيلية على حد سواء. كما يرى عدد من المحللين أن قوات حفظ السلام الدولية لن تقدم حلا سحريا للأزمة الحالية. وهي وان كانت قد تؤسس لحل مؤقت لكن حتى مواصفات هذا الحل الجزئي غير متوفرة في هذه اللحظة. ومهمة قوات حفظ السلام لن يحالفها النجاح ما لم يوافق حزب الله عليها ويقدم على الانسحاب من جنوب لبنان. ولا توجد اشارة من حزب الله انه سوف يفعل ذلك. كما انه لا بد أن تكون هناك أصلا عملية سلام حتى تقوم هذه القوات بحفظها. أما النقطة الثالثة فتتمثل في أن القضية ليست فقط مسألة حفظ السلام في جنوب لبنان وانما أيضا ترتيب الأوضاع اللبنانية برمتها بحيث تفرض الحكومة اللبنانية سيطرتها على كامل التراب اللبناني. لأنه بدون وجود سيادة حقيقية للسلطة المركزية اللبنانية سيصبح الوضع الحالي قلقا للغاية خلال المرحة المقبلة. ولا يعني ذلك بان الكرة في ملعب حزب الله وحده بل لا بد وان يكون هناك جزء من الالتزام لدى اسرائيل. لا بد أن يكون هناك نوع من التوافق بين الفعل ورد الفعل عند حدوث اختراق لوقف اطلاق النار. فطريقة الردع الشامل التي تقوم بها اسرائيل تؤدي الى زيادة الكراهية في المنطقة وزيادة الرغبات الانتقامية وبالتالي تجعل من المستحيل حدوث توافق لبناني Bildunterschrift: كما كما انه لا بد من الربط بين نجاح مهمة القوات الدولية بطبيعة التفويض الذي سيمنح لها من قبل مجلس الأمن الدولي. فاقتصار مهمة هذه القوات على المراقبة دون أن تكون لها القدرة على التدخل العسكري عند الضرورة لن يساعد على احلال السلام. وحتى وجود قوات دولية ذات صلاحيات واسعة وتفويض عسكري في حد ذاته لن يحل الأزمة ولكنه قد يمهد الطريق للمفاوضات. ومن واقع السوابق الدولية فأن اسرائيل لا تفضل أصلا تدخل الأمم المتحدة كما انها لا تثق فيها أصلا. أضف الى ذلك بان اسرائيل لديها طموحات لتغيير الوضع السياسي في محيطها الجغرافي وهذا ما تحاول عمله من خلال عملياتها العسكرية الحالية، بينما سيحول وجود قوات دولية دون تحقيق هذا الهدف. واسرائيل تشك أيضا بقدرة الأمم المتحدة على جعل الحكومة اللبنانية تفرض سيطرتها على جميع الأراضي اللبنانية ولذلك فان اسرائيل تحاول أن تقوم بهذه المهمة بنفسها. فاسرائيل ت